أمير اموي من سلالة مسيحية

للعلامة بارتولد عضو اكاديمية لينغراد العلمية سابقاً[1]

نقلها عن الروسية نقلاً دقيقاً الاستاذ عبدالى عوزي احد اساتيذ جامعة باكو الروسية

جاء في كتاب فلهوزن المستشرق الشهير (J. Wellhausen) «المملكة العربية وسقوطها» (ص ٢٣٧) على ذكر حديث المؤرخ البزنطي تيوفان (انظر سنة ٦٢٣٦ للعالم) عن قمع مروان بن محمد المعروف بالحمار لفتنة حمص سنة ٧٤٥ وقتل الامير الاموي العباس بن الوليد ابن عبدالملك ما ترجمتهُ « وقد فرح لذلك المسيحيون لان العباس كان متعصباً لدينهِ فهاجمهم ضدهُ ولما كان عددهم وقتئذٍ عظيماً كان في وسعهم ان يملوا المدينة الى مروان الذي لم يكن متعصباً في دينهِ » على ان تيوفان لم يذكر في الصفحة المذكورة شيئاً لا عن فرح نصارى حمص ولا عن احتفالهم كثيراً من تعصب العباس الديني بل قبل هناك ان ما اصاب العباس من المحن في آخر عمره كان جزاء عادلاً لهُ » لانهُ سفك دماء كثيرين من النصارى وخرّب بلاداً كثيرة وألحق ضرراً عظيماً بالمسيحيين بواسطة السحر والالتجاء الى الجن». والظاهر من هذه العبارة المبهمة ان الكاتب البزنطي لم يعن النصارى القيمين في دار الاسلام بل نصارى دار الحرب وما احرزه العباس من النجاح في حروبهِ مع البزنطيين وهكذا فهم العبارة المذكورة الكاتب تسترستين Zetterstein ايضاً في مقالتهِ عن العباس في « دائرة العلوم الاسلامية» . والغريب انهُ قد عزب عن بال الكاتبين الاوربيين المذكورين ان يذكروا ان العباس بن الوليد يطل الحروب المذكورة « ومضطهد المسيحيين » على قول فلهوزن ولد من امرأة نصرانية وان هذه الامرأة كانت من سلالة يونانية كما يؤخذ من عبارة ابن قتيبة [2] « ان ام العباس كانت نصرانية » ومن قول الطبري[3] « انها كانت رومية» وقد ذكر الكاتب الاخير في موضع آخر ان «عيني العباس كانتا زرقوينين وشعره اشقر » [4] ولهذا كان يزيد بن المهلب الخارج على الخليفة وعدو العباس الالد يسميه

(١) توفي بتفليس صيف السنة الماضية فأحدثت وفاته فراغاً عظيماً في عالم الادب ولاسيما في علم تاريخ الشرق الادبي الذي كان المرحوم احد جهابذته كما سنبين ذلك في مقالة خاصة نقفها على سيرته وبيان منزلته العلمية في اوربا وذكر اهم مؤلفاته (٢) انظر كتابه في التاريخ ص ١٨٣ (طبع F. Wustenfeld)

(٣) ج ٢ ص ١٣٩٨ (طبع ليدن)

(٤) انظر ايضاً عن زرقة عيني العباس بن رسته في (Bibl. Geogr. Arab VII, 228)

« قاتل ناقة ثمود » ملمحاً بذلك الى القصة المعلومة التي ورد ذكرها في القرآن في حديثه عن النبي صالح ومعلوم ان القرآن الشريف ذكر حديث ثمود وكفرهم بالنبي صالح في مواضع عديدة وفي خمسة منها يحدّث عن اهانتهم للنبي وقتلهم للناقة على انه في اربعة مواضع (٧، ٧٥ و١٧ : ٦١ و٦٢ ، ١٥٧ و ١٤، ٩١) ينسب قتل الناقة الى كل القبيلة وفي موضع واحد (٢٩، ٥٤) ينسبهُ الى شخص واحد من غير ان يبين صفاته الخارجية التي لم تذكر الاّ في الاحاديث الموضوعة بعد القرآن فمن هذه الاحاديث ان الرسول تنبأ عن ظهور « صبي أشقر الشعر ازرق العينين [1] » يخرج من ثمود فيقترف تلك الجريمة التي ذكرها القرآن . وقد جاء في اخبار فتنة سنة ١٢٧ هجرية [2] (٧٤٤ م) التي سنتكلم عنها بعد ذلك انه لما طلب زعماء الفتنة الى العباس ان يبايع اخاه يزيد بعد قتل الوليد تهدّده احدهم بقوله « يأبن قسطنطين لئن ابيت لاضربنّ الذي فيه عيناك » [3] ولعل قوله « يأبن قسطنطين » يدل على قرابة حقيقية او افتراضية بين العباس وبين الاسرة المالكة في بزنطية

معلوم ان قسطنطين الرابع الملقب بوغوناط Pogonate توفي سنة ٦٨٥ اي بعد ما ابرم معاهدة الصلح مع الخليفة عبد الملك فعقبهُ ابنهُ يوستيانوس الثاني وكان لهُ من العمر ست عشر سنة فجدّد معاهدة ابيه سنة ٦٨٨ ثم سنة ٦٨٩ وقد بقيت هذه المعاهدة الاخيرة مرعية الى سنة ٦٩١ فمن المحتمل ان يكون عبد الملك قد زوّج احد ابنائه باحدى اميرات بزنطية الحقيقيات او المزعومات وذلك رغبةً منهُ في تقوية معاهدة سنة ٦٨٥ ثم معلوم ايضاً ان عبد الملك توفي سنة ٧٠٥ وهو في سن الستين او ما يزيد عليها قليلاً وان الوليد ابنهُ توفّي سنة ٧١٥ وقد اختلفوا في سني حياته بين ٤٣ و ٤٩ [4] والارجح عندي انه توفي وعمره ٤٩ او ٤٧ سنة وعليه يكون قد ولد قبل سنة ٦٧ ومات عن تسعة عشر ولداً كان العباس اكبرهم [5] وقد اشترك في فتح طيانة سنة ٧٠٩ كما جاء في كتب مؤرخي العرب او سنة ٧٠٧ كما يقول تيوفان مما ينتج عنه ان العباس ولد قبل ٦٩٠ بقليل اعني في زمن الهدنة بين الروم والعرب [6] لا شك ان العلاقات بين الروم والعرب في اواخر العصر السابع واوائل الثامن لا تزال حتى اليوم غامضة تحتاج الى من يلقي عليها شعاعاً من النور ولهذا

---

(١) ج ١ ص ٢٤٦ (٢) الاصح سنة ١٢٦ هـ (٧٤٣ م) كما جاء في تاريخ الطبري (ب ج)
(٣) الطبري ٢ : ١٧٩٨. Fragmenta ص ١٤١ حيث سلطت كلة ابن (٤) بين ٤٢ ـ ٤٧ في قول الطبري (٢ : ١٢٧٠) وبين ٤٣ ـ ٤٩ في قول اليعقوبي (التاريخ ٢ : ٣٤٩) و٤٣ على رأي المسعودي (Bibl. Geog. Arab. VIII , 317 و ٤٨ على قول ابن قتيبة (ص ١٨٣)
(٥) Fragmenta ص ١٤١ سطر ١٤ من اسفل (٦) حوالي سنة ٧٠٥ اي سنة ارتقاء ابيه عرش الخلافة (ر ـ كما جاء في بعض الاخبار ـ كان اميراً على الحج (المسعودي مروج الذهب ج ٩ ص ٥٩)

ترى بعض البحّاثين يميل مع المؤرّخ البزنطي تيوفان الى معاتبة يوستنيانوس الثاني على نقضه المعاهدة المذكورة آنفاً لامر تافه . والحقيقة ان ليس في ذلك شيء من الغرابة بل الغريب ان يوستنيانوس رضي ان يعقد في ذلك الوقت تلك المعاهدة . بل كيف لم تنتهز الروم فرص تشاغل العرب بالحرب الاهلية التي استعرت نارها يوم توفي معاوية ابن ابي سفيان (سنة ٦٨٠) الى ان فتح الحجاج مكة (سنة ٦٩٢) لتسترجع سوريا ومصر. والظاهر ان المسلمين انفسهم استغربوا ذلك فقد ورد في كتاب المحاسن والمساوىء لابراهيم البيهقي في اوائل العصر العاشر انهُ وقع جدال بين ملك الروم ووجوه مملكته في سياسته نحو العرب وذلك ان هؤلاء حاولوا ان يقنعوا ملكهم ان لا يضيع فرصة تشاغل العرب بعضهم ببعض فيغزوهم في بلادهم فنهاهم الملك عن ذلك فابوا عليه إلاّ ان يفعل فلما رأى ذلك دعا بكلبين فارّش بينهما ثم دعا بثعلب فخلاه بينهما فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ما كانا عليه واقبلا على الثعلب حتى قتلاه [1]

على انهُ يستفاد من اخبار مؤرخي الاسلام ان الصلح بين العرب والروم لم يكن على اتمه حوالي سنة ٦٨٠ فقد ذكروا ان الروم استرجعت في تلك السنة بعض المدن الواقعة على الحدود (الثغور) وان الاسطول البزنطي هدم بعض مدن سوريا الواقعة على شاطىء البحر فاضطر العرب ان يخلوا جزيرة قبرس ورودس [2] في ايام يزيد بن معاوية (٦٨٠—٦٨٣) وان غارات الروم على مرعش توالت بعد وفاته فاضطر العرب ان يخلوها ايضاً وكذلك اضطر عبد الملك بعد وفاة ابيه مروان ان يعقد مع الروم صلحاً على ان يؤدّي اليهم إتاوة [3] وذكر الطبري ان الروم «شمتت في ايام عبد الله ابن الزبير ملطية ثم تركتها فنزلها قوم من النصارى من الارمن والقبط » [4] ولم يخلها العرب ولعلّ ذلك كان من شروط معاهدة ٦٨٥ اما ما يتعلق بمدن الساحل فقد ذكروا ان الروم اخربت في « ايام ابن الزبير» صور وعكا وقيصرية وعسقلان [5] ولا شك ان خراب عكا كان اكبر مصيبة اصابت المسلمين وتتلثر لان عكا كانت منذ اصبح معاوية عاملاً على سوريا مرسى الاسطول الغربي ودار صناعته [6] .

(١) ص ١٣٨ من طبعة الدكتور Fr. Schwally (وص ١٠٠ من الطبعة المصرية لسنة ١٩٠٦ ب. ج) (٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٤ و٢٣٦ (من الطبعة الاوربية) يظن فلهوزن ان خبر اخلاء العرب لقبرص غير صحيح لان قبرص ذكرت مع ارمينية وبلاد الكرج في معاهدة سنة ٦٨٨ بين تلك المقاطعات التي كان يجب ان تقسم وارداتها بين الروم والعرب مما يستنتج منه ان هذه الواردات كانت قبل ذلك في يد العرب وحدهم (٣) فتوح البلدان ١٨٨

(٤) فتوح البلدان ١٨٥ (٥) فتوح البلدان ١٤٣ (٦) فتوح البلدان ١١٧

لقد بايع الناس بالخلافة لعبد الله بن الزبير حالاً بعد وفاة يزيد بن معاوية (سنة ٦٨٣) ولهذا لا مانع من ان نطلق عبارة « في ايام ابن الزبير » على الزمن الذي سبق معاهدة الصلح التي ابرمت سنة ٦٨٥ الاّ انه قيل هناك ان العرب رمّموا المدن التي شعثها الروم « بعد ان استقام لعبد الله بن مروان الامر » اي بعد ان انتهت الفتنة . ونقل الطبري عن الواقدي ان عبد الملك فتح قيصرية سنة ٧١ هجرية اي سنة ٦٩٠ او ٦٩١ م والمراد هنا بقيصرية قيصرية فلسطين على الارجح لا قيصرية قبادوكية ولعل الروم لم يهدموا قيصرية بل احتلوها بمعاهدة ٦٨٥ ثم لعل فتحها مرة ثانية كان بادرة نجاح العرب في حروبهم مع الروم التي تجدّدت سنة ٦٩١ [1] في سوريا وسنة ٧٤ هـ (٦٩٣ او اوائل سنة ٦٩٤) على حدود آسيا الصغرى كما ذكر البلاذري . وفي كلتا الحالتين كان العرب هم البادئون لان الروم لم تزحف من مرعش التي بقيت في ايديهم، الاّ في خريف سنة ٦٩٤) [2]

نستنتج مما ذكر ان الروم كانوا عازمين في ايام قسطنطين بوغوناط على اتمام فتنة العرب لاسترجاع ما فقدوه من البلاد لكنهم كانوا يحاربون بدون حزم كاف ونشاط ولهذا استطاع عبد الملك أن يعقد معهم صلحاً بدون ان يتنازل لهم عن شيء يذكر. على انهُ يحتمل ان الرأي العام في بزنطية كان يلحّ على يوستنيانوس في احراج سني الفتنة العربية [3] أن ينقض الصلح ويستفيد من الحالة النادرة . ويحتمل ايضاً ان يكون يوستنيانوس اضطرّ ان يلبي طلب رعاياه على انهُ اكتفى في بادىء الامر بما تنازل له الخليفة عنه [4] وهذا ما مكّن عبد الملك من ان يستجمع قواه ويبدأ سنة ٦٩١ اي قبل ان تنتهي حربه مع مصعب في تعبئة قوة كافية لفتح قيصرية . ولاشك في ان هذه الحرب التي انتهت سنة ٦٩١ كانت اعظم خطراً على سوريا من قبَل الروم لا من قبل ابن الزبير الذي لم يفكّر قط مدة خلافته في مكة ان يزحف على سوريا ولو فعل ذلك لاحرج عبد الملك وسهّل على الروم عملهم

لقد تبدّلت في اوائل الجيل الثامن احوال الروم والعرب فاصبحت على عكس ما كانت عليه قبلاً اي ان الدولة العربية استردت في ايام الوليد قواها وصارت منيعة الجانب لا يطمع احد في مناوئتها وذلك على ضدّ الدولة البزنطية التي اضطربت امورها ودخلت في دور الفوضى وتنازع السلطة ولهذا ولاسباب اخرى نجد اخبار الحرب بين الطرفين في

---

(١) فتوح البلدان ١٨٨ اما الطبري فانه يذكر سنة ٧٣ه (٢ : ٨٥٣) وايليا النصيبي ٦٩٢ ولهذا وجب فلهوزن هذه السنة على غيرها (٢) الفتوح ١٨٨ والطبري (٢:٨٦٣) واليعقوبي (٢:٣٣٦)
(٣) انظر فلهوزن « المملكة العربية وسقوطها » ١١٧ واخبار الطبري (٢ : ٧٨١) عن حج سنة ٦٨٨ وروايات طلاب الخلافة الاربعة (٤) فلهوزن Göttt Nachrichten لسنة ١٩٠١ ص ٤٢٨

هذه السنين بما فيها اخبار غزوات العباس بن الوليد غامضة وقاصرة ونجد ايضاً اختلافاً بيّناً بين المآخذ العربية والرومية عنها والى ذلك اشار الكاتب تيرستن في مقالته المذكورة آنفاً . وقد يأخذك العجب من ان مؤرخي العرب لا يذكرون شيئاً عن توقف الحرب بين الطرفين وعن معاهدات الصلح بينهما لكنهم في الوقت ذاته يخبرون ان الخليفة ارسل يطلب من ملك الروم ادوات وفعلة لبناء بعض عمارات وخصوصاً لهدم المسجد القديم القائم على قبر النبي وبناء مسجد جديد مكانه وهو المسجد الذي شرع الوليد في بنائه سنة ٧٠٧ وفرغ منه سنة ٧١٠ (١)

يستفاد من كلام الواقدي الذي اخذ عنه اليعقوبي (٢ : ٣٤٠) والطبري (٢ : ١١٩٤) ان ملك الروم بعث الى الخليفة مائة الف مثقال ذهب ومائة فاعل واربعين حملاً من الفسيفساء التي اتتهما من المدن التي خُرِّبت وذكرت في مصادر اخرى (٢) غير هذه الاعداد مما يستنتج منه ان هدايا الملك ذُكرت في مصادر اخرى غير التي استقى منها الواقدي اخباره

يؤخذ من كلام الواقدي ان اهم مصادره عن الحوادث التي نحن في صددها هو صالح بن كيسان الذي يزعم انه شهد تلك الحوادث بنفسه وانه اشترك في عمارة المسجد المذكور بل وقف على بنائه (٣) وصالح هذا احد رواة الاحاديث التاريخية الاقدمين وقد روى عنه كثيراً محمد بن اسحاق صاحب سيرة الرسول وكانت وفاته في ايام بني العباس بعد سنة ١٤٠هـ (٤) اي ليس قبل سنة ٧٥٨م وعليه لم يكن صالح من البالغين سنة ٧٠٧ او كان فتى حديث السن لا يعي حوادث تلك السنة . زد على ذلك انه يبعد عن التصديق ان يبعث ملك الروم في ايام الحرب الى ملك العرب عدوه بالمبلغ المذكور من الذهب بدون ان يعرض عليه عقد معاهدة صلح او — على الاقل — هدنة ولهذا نرى اقرب الى الصحة خبراً آخر رواه الطبري عن الواقدي عن حادثة وقعت سنة ٧٠٩ اي سنة عمارة المسجد وهذا الخبر يدل على ميل ملك الروم الى مصالحة الخليفة ويتلخص في انه لما اسرت الروم امير الاسطول العربي خالد بن كيسان ذهبوا به الى ملكهم فاعداه الملك الى الوليد بن عبد الملك فان صح

(١) انظر عن هذا البناء مقالة لي في «الشرق المسيحي» ج ٦ ص ٢١٠

(٢) ذكر صاحب « الحدائق والاخبار المجهول ان عدد الجمال كان مئة الف وذكر ابن رسته « Bibl. Geog. Ar. VII, 69 ان عددهم كان على رواية ٢٠ الف وعلى رواية اخرى ١٠ آلاف اما الدراهم فبلغ مقدارها على قوله ٨٠٠٠٠ دينار ما عدا سلاسل الذهب والفسيفساء وقال ياقوت (٤ : ٦٦٦) ان عدد الجمال كان ثمانين منهم اربعون من الروم واربعون من القبط ثم الف مثقال ذهب وفسيفساء (٣) انظر معجم البلدان لياقوت (المذكور آنفاً) وكانت لصالح هذا يد في تجديد المسجد نفسه في خلافة بني العباس (انظر كتاب ابن رسته ٧ : ٧٠) (٤) ابن تتبية ص ٢٤٥ واما في معجم البلدان (٦ : ٤٢٧) فسنة ١٤٤ (٧٦١ — ٧٦٢)

ان الواقدي اخذ روايته عن صالح بن كيسان وكان كيسان هذا اخا خالد كان لحديث الواقدي المذكور خطورة كبرى

كان العباس بن الوليد يُدعى من دون اخوته «فارساً» وذلك لشجاعته وثبات جأشه في القتال ولقد مدحهُ الفرزدق وجرير واثنوا على كرمه ومناقبه وذكر له التاريخ ولدين حارثاً ومؤملاً من أُمها بنت القطري[١] زعيم الخوارج المعروف الذي قتل سنة ٦٩٧ (٢) في معركة دارت بينه وبين جيوش الدولة وعُرف العباس ايضاً باضطه للبلاد الواقعة على الثغور واصلاحها فقد ذكروا انه جدّد مرعش وحصّنها ونقل اليها الناس ثم بنى فيها مسجداً جامعاً وكان يقطع كل عام على اهل قنسرين (٣) بمشأ اليها وقد عزا اليه تيوفان بناء مدينة Garis (؟) في مقاطعة هليوبوليس اي بعلبك على ما نرجح اما زواجهُ فكان يجب أن يقرّبهُ من القبائل العربية الشمالية اي من القيسية وهم الاكثرية في قنسرين وهذا على ما اظن هو السبب في ان العباس لم يتدخل في امور الدولة ولا اشترك في غزوات القسطنطينية بعد وفاة الوليد واتساع نفوذ القبائل العربية الجنوبية اى اليمانية او الكلبية في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩١٥-٩١٧) وقد بقي اسمهُ منسيًّا مهملاً حتى خلافة يزيد الثاني (٧٢٠ - ٧٢٤) لما استرجعت القبائل القيسية سطوتها ونفوذها ولما عاد العباس يعمل على محاربة اعداء الدولة في الداخل والخارج. نذكر من ذلك ترأسهُ وعمّهُ سلمة بن عبد الملك الجيش الذي ارسلهُ الخليفة الى العراق لقمع فتنة يزيد بن المهلب الكلبي الخطيرة فلما قمعها اقطعهُ الخليفة ارضاً في البصرة كانت قبلاً لخيرة بنت ضمرة امرأة المهلّب وهي الارض التي عرفت باسم «عباسان» وقد حجزها بنو العباس (٤) كما حجزوا سائر املاك بني امية بعد ان انتقل الملك اليهم ثم بعد أن قمعت الفتنة بعث سلمة برؤوس اصحاب الثورة الى يزيد بن عبد الملك فارسلها يزيد الى العباس في حلب (عاصمة قنسرين) وهناك نصبوها (٥) مما ينتج عنهُ ان العباس تولى امارة قنسرين مرة اخرى. وفي سنة ١٠٣ (٧٢١ م او ٧٢٢ م) غزا

---

(١) Fragmenta ص ١٤ وورد هذا اللقب في كتاب ابن قتيبة ص ١٨٣ والمسعودي (مروج الذهب) ج ٥ ص ٣٦١ وغيرهم

(٢) الطبري (٢ : ١٠١٨) وما بعدها و J. Wellhausen Die religiös-politische Oppositionsparteien im alten Islam (Achand. Gott. philos.-histor. kl. Neue Folge, V. W 2 p. 41

(٣) فتوح البلدان ص ١٨٩

(٤) فتوح البلدان ص ٣٦٩ (٥) الطبري ٢ : ١٤١٣ وقد ذكر فلهوزن نصب رؤوس الثوار في حلب لكنه لم يذكر اسم العباس ولهذا لم يعد واضحاً لماذا بعث الخليفة برؤوس اصحاب الفتنة الى حلب لا الى مدينة اخرى (طالع عن اشتراك العباس في اخماد الثورة تاريخ الطبري (٢ : ١٣٩٠ — Fragmenta ص ٦٨)

العباس بن الوليد الروم وفتح مدينة لا يزال اسمها غامضاً حتى اليوم الاّ ان تيوفان لم يذكر في تاريخه هذه النزوة ولما توفي يزيد الثاني اعتزل العباس الاعمال وانزوى في بيته وقد بقي معتزلاً طول خلافة هشام ولهذا لم نعثر على اسمه ولا مرة في هذه الخلافة الطويلة وكل ما اعلمه عنهُ هو ما ذكره المسعودي في احد مؤلفاته المفقودة [١] من انهُ دارت بينهُ وبين الخليفة المذكور بعض محادثات شخصية في امور لم يذكرها المسعودي وهكذا الى ان جاءت خلافة الوليد ابن يزيد (٧٤٣ — ٧٤٤) المعروف بميله للقبائل القيسية (التي كان يميل اليها ابوهُ من قبله) وثقته التامة بالعباس ولهذا لم يكد ينتشر خبر وفاة هشام بن عبد الملك حتى ارسل الوليدُ العباس الى الرصافة حيث كان يقيم هشام ليحصي امواله [٢] فلا عجب اذاً اذا رأينا العباس ينحي سائر اخوته عن اثارة حركة ضد الخليفة بناصرة القبائل الكلبية في حين ان المتآمرين كانوا في حاجة الى نفوذه الادبي لانهُ كان « سيّد » الاسرة المالكة [٣] وهذا ما حمل زعيم المتآمرين الخليفة يزيد الثالث [٤] ان يذهب بنفسه الى قصر انسطل (في جانب البحر الميت الشرقي) حيث كان يقيم وتنشز العباس ليقنعهُ ان ينضم اليهم فلم يفلح لان العباس ابى ان يشترك في المؤامرة وحاول ان يثني غيره عنها خوفاً من الفتنة وهلاك بني امية. وقد اشار الى ذلك في ابيات ينسبونها اليهِ وقد خاطب فيها اعضاء اسرته واعاذهم بالله ان لا يهدموا سلطانهم بايديهم وان لا يحدثوا سنة سيئة بقيامهم على اصحاب السلطة الشرعية وان لا يطعموا « لحومهم لذئاب الناس » [٥] وقد بلغ من حرصهِ على مصلحة اسرته ان تهدّد المتمردين بان يسلمهم الى الخليفة ان هم اصرّوا على غيهم لكنهُ لم يفعل بل لم ينذره بالخطر الذي كان يحدق بهِ ولم يأتهِ الاّ بعد ان احاطوا بقصره بنحرا (الواقع في الجانب الشرقي ايضاً من البحر الميت) وكان معهُ ثلاثون فارساً من ولده ومواليهِ وخاصتهِ كما يقول صاحب العيون والحدائق في أخبار الحقائق » المجهول [٦] مع ان الطبري يؤكد بانهُ لم يكن مع

(١) انظر مروج الذهب ج ٥ ص ٤٨٠ (من الطبعة الاوربية) (٢) الطبري ٢ : ١٧٥١ و Fragmenta ص ١٢١ وفلهوزن « الدولة العربية » ٢٢٦ (٣) الطبري ٢ : ١٧٨٤ و Fragm. ١٣٣
(٤) ابن الوليد الاول واحدى اميرات الفرس المتصل نسبها بملك الروم ملوريكي وخاقان الترك (انظر الطبري ٢ : ١٨٧٤ و تاريخ البطريرك سعيد ص ٤٢) قال يزيد مفتخراً

انا ابن كسرى وابي سيوان وقيصر جدي وجدي خاقان

(٥) وهذه هي الابيات التي ينسبونها الى العباس :

اني اعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تنصدع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تطعمن ذئاب الناس انفسكم ان الذئاب اذا ما الحت رتعوا
لا تبقرن بايديكم بطونكم ثم لا حسرة تغني ولا جزع (ج ج)

(٦) انظر Fragmenta ص ١٤٠

«العباس اصحابهُ» وان الثلاثين فارساً الذين تقدم بهم اصحابهُ كانوا كلهم من بنيهِ وقد قبض عليهِ المتآمرون في الطريق وحملوه على مبايعة يزيد فبايع مكرهاً فنصب حالاً اصحاب الفتنة رايتهُ الى جانب رايتهم ليستفيدوا من نفوذه الادبي فانضم اليهم بعض من كان مع الخليفة الاَّ ان العباس كان في عسكر المتآمرين «كالاسير»[١] ولم يجن فائدة ما من قتل الوليد وتولى الخلافة يزيد الثالث حتى ولم يُسلَّ على قنسرين التي وُلّي عليها أخوان للخليفة الجديد وهما مسرور وبشر[٢] ولقد تضاربت الاخبار في ما كان من امر العباس في آخر عمره فقال صاحب «العيون والحدائق» انهُ مات من جراحاته اصابتهُ يوم حُروب الوليد» وقيل بل عاش بعد ذلك قليلاً منزلاً منفرداً[٣] على انهُ قد جاء في بعض الاخبار ان اصحاب يزيد بن الوليد استفادوا ان لم يكنْ من العباس فمن اسمه وذلك في خلافة يزيد التي لم تزد كما هو معلوم على خمسة اشهر (من نيسان الى ايلول من سنة ٧٤٤) وخلاصة هذه الاخبار هي ان منصور بن جمهور اخذ يدّعي يوم قدم عاملاً على العراق من طرف يزيد بانهُ نائب الحارث بن العباس الاكبر وان العباس نفسهُ ارسلهُ الى العراق[٤] مع ان حارثاً لم يعين عاملاً على العراق وانما عين بعد ذلك عبد الله ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز وذكر ايضاً اصحاب التاريخ ان العباس بعث بطلب من يزيد كتاباً الى مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية حين سمع ان مروان عازم على الانتقام من قتلة الوليد بن يزيد وان كتابهُ كان «ينفذ في الآفاق»[٥] وكل هذا محتمل لان العباس كان يكره كما ذكرنا فتنة سنة ٧٤٤ لا لانهُ كان مخلصاً شخصيًّا للوليد بل لانهُ كان يخشى ان تؤدي الفتنة الى هلاك بني مروان فلا عجب والحالة هذه اذا هو سعى الى اخماد هذه الفتن واستعمل ما كان له من النفوذ لدى مروان طبقاً لرغائب يزيد على انهُ يؤخذ من كلام الطبري ان الكتاب الذي بعث بهِ الى مروان كان في مسألة شخصية لها علاقة باحد العرب[٦] وكان الغرض منهُ ان يمهد السبيل لمكاتبة مروان لا غير وانهُ لم يكن مالاً بخروج شخص آخر[٧] ذي اهمية كبرى ارسلهُ يزيد سرًّا الى مروان ليكاشفهُ في بعض امورٍ مهمةٍ وقد نجح في عمله لان مروان عدل عن عزمهِ وبايع يزيد ولم يزحف على دمشق الاَّ بعد وفاتهِ

يظهر لي انهُ لم يكن للعباس يد في الفتن التي ملأت خلافة مروان بن محمد (٧٤٤–٧٥٠) ولو انهُ اصابهُ منها ما اصاب ومات في غضونها في سجن حرَّان صبراً . جاء في تاريخ

---

(١) Fragmenta ص ١٤٨ (٢) الطبري ٢:١٨٣٤ و١٨٣٦ (٣) Fragm. ص ١٥٣
(٤) الطبري ٢ : ١٨٣٨ (٥) الطبري ٢ : ١٨٥١ (٦) وهو طفيل بن حارثة الكلبي (ب. ج)
(٧) واسمه مسلم بن ذكوان (ب. ج)

اليعقوبي [١] ان العباس كان برأس ثورة حمص ويزيد الثالث حي يرزق غير انهُ يؤخذ من كلام الطبري (٢ : ١٨٢٨) ان الثورة كانت ليس فقط ضد يزيد بل وضد العباس نفسهُ لان اهل حمص كانوا حاقدين عليهما لاشتراكهما في قتل الوليد ولان بعض من حضر تلك الحادثة نقل اليهم أن انضمام العباس الى اصحاب الفتنة ساعد كثيراً على نجاحها ولهذا هدم الشعب بيته ونهبوهُ ثم حبسوا بنيهِ وجدُّوا في طلبهِ فلم يعثروا عليهِ لانهُ تمكن من الهرب الى يزيد (يستنتج من هذا الحديث ان العباس بقي قليلاً من الزمن في حمص بعد أن صار اخوه خليفة) . والحقيقة ان زعيم الحركة ورئيس مدينة حمص كان حفيد آخر لعبد الملك بن مروان و « سيّد » آخر من بني أمية وهو مروان بن عبد الله ولعل اليعقوبي خلط بينهُ وبين العباس

***

هذه كانت الحالة في حمص وقتئذٍ فلا عجب اذا رأيناها تدخل راضية في طاعة مروان ابن محمد على ان هذه الحالة لم تطل كثيراً لان حزب المعارضين تغلب فيها فاضطر مروان ان يحاربها مرتين (عام ٧٤٥ وعام ٧٤٦) ولم يستولِ عليها في المرة الثانية الاّ بعد حصار طويل

يميل فلهوزن I. Wellhausen [٢] الى الاعتقاد بان العباس هو الذي اقام هذه الثورة بعد ان عاد على قوله الى حمص واسترد نفوذه السابق فيها غير ان المآخذ التي في ايدينا لا تذكر شيئاً من هذا ولا احد يعلم متى ولم زُج العباس في السجن. ولعلَّ ذلك حدث في تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ٧٤٤ يوم دخلت عساكر مروان دمشق ويوم نبش الناقمون على يزيد لقتله الوليد قبره [٣] وصلبوه فلا يبعد ان يكون اصابهُ في ذلك اليوم ما اصاب بنيهِ في حمص قبل ذلك ولعل ذلك لان الناقمين لم يكونوا ليصدقوا العباس وبنيهِ بان اشتراكهم في الثورة كان على كرهٍ منهم . على كل حال يظهر انهُ لم يقدّر للعباس ان يخرج من سجن حرّان حيّاً . فقد ذكر صاحب تاريخ «الامم والملوك» ان العباس واثنين من المسجونين السياسيين وهما عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والامام العباسي ابراهيم حامل العراق سابقاً توفوا في السجن بالوباء ولكن المؤرخ المذكور لم يذكر متى كان ذلك واكتفى بان قال ان العباس كان في

(١) ٢: ٤٠١ (٢) انظر كتابه « الدولة العربية » ص ٢٣٦ وما بعدها
(٣) لم يقم عليه دليل قاطع فابن قتيبة يخبر عن عبد الله بن عمر أنه مات في السجن « (١٨٧ و ١٩١) وعن ابراهيم انه «مات في سوريا » (ولم يذكر كيف مات)

السجن مع غيره من المحبّسين الذين ارسلهم مروان الى حرّان من الرقة حين قدمها متوجهاً الى الضحاك زعيم الخوارج في تلك السنة (٧٤٦) ومعلوم أن مروان لما قدم حرّان لآخر مرة عام ٧٥٠ بعد ان هزمهُ العدو شر هزيمة على الزاب الكبير امر باخلاء من كان فيها من المحبّسين على انهم لم يذكروا اسم العباس بين من اخلي عنهم وهذا نرجّح انهُ توفي قبل هذا العام ولكن متى وكيف ؟ هذا ما يصعب تحقيقهُ بالتدقيق على اننا نستطيع ان نحدّد السنة التي توفي فيها بما يقرب الى الصحة اذا صحّ الخبر القائل بان العباس توفي وعبد الله بن عمر والامام ابراهيم في وقت واحد فقد ذكر الطبري ان عبد الله أسر في صيف سنة ٧٤٧ يوم فتحت جيوش مروان مدينة واسط (١) وذكر المسعودي (٢) ان الامام ابراهيم زُجّ في السجن في محرّم سنة ١٣٢ﻫ اي في شهر آب او ايلول من سنة ٧٤٩م وزاد على ذلك قوله ان ثلاثة اشخاص توفوا في السجن في وقت واحد وان وفاتهم كانت قسراً بخلاف ما يقولهُ الطبري ولكن طبقاً لرواية المؤرخ البزنطي تيوفان التي بنى عليها رأيه ڤلهوزن (٣) لانهُ رآها اقرب الى الصحة من رواية الطبري وذلك بخلاف تسترستن. وخلاصة هذه الرواية انهم دسّوا رأس العباس في كيس ملئوه كلساً في درجة الطيان فمات لساعته . على ان ڤلهوزن سهي ان يذكر ان كاتبين من كتبة المسلمين وهما اليعقوبي (٤) والمسعودي (٥) اوردا هذه الرواية في سياق كلامهما عن وفاة الامام ابراهيم لكنهُ يظهر من كلام اليعقوبي والطبري ان روايات المحدثين في العالم الاسلامي عن تلك الواقعة لم تكن وقتئذ متفقة فقد روى المسعودي انهم وضوا على وجوه العباس وعبد الله مخدات وقعدوا عليها الى ان قاضت روحاهما . اذن لم يكن يومئذ اخبار صحيحة يوثق بها عما جرى في السجن بل كانت اشاعات بلغ صداها المؤرخ الروماني تيوفان (٦)

اما ما كان من امر ولد العباس — وما كان اكثر عددهم — فلا احد يعرف شيئاً

---

(١) ٢ : ١٩٤٦ وڤلهوزن الدولة العربية ص ٣٤٥ (٢) Bibl. Geog. Arab. ج٨ ص ٣٣٩

(٣) الدولة العربية ص ٣٣٧ (٤) انظر تاريخه ٢ : ٤٠٩ (٥) مروج الذهب ٦ : ٧٢

(٦) ذكر اليعقوبي ما عدا رواية الكلس رواية اخرى مؤداها انهم خنقوا العباس بان القوا على وجهه لحافاً واورد الطبري (٣ : ٤٣ —) ما عدا رواية الوباء رواياتين اخريين جاء في الاولى منهما ان الامام ابراهيم دفن تحت انقاض البيت الذي كان يسكنه والذي امر الخليفة بهدمه وجاء في الثانية انه مات مسموماً